

تفسير أبي السعود

البقرة 137 .

فإن آمنوا لرتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ما تقدم من إيمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لإيمان أهل الكتابين لما أنه مشتمل على ما هو مقبول عندهم .
بمثل ما آمنتم به أي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على أن المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله أي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة أبي بالذي آمنتم به ويجوز أن تكون الباء للاستعانة على أن المؤمن به محذوف لظهوره بمروره آنفاً أو على أن الفعل مجرى مجرى اللازم أي فإن آمنوا بما مر مفصلاً أو فإن فعلوا الإيمان بشهادة مثل شهادتكم وإن تكون الأولى زائدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية أي فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم بما ذكر مفصلاً وأن تكون للملابسة أي فإن آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به أو فإن آمنوا إيماناً ملتبساً بمثل ما آمنتم إيماناً ملتبساً به من الإذعان والإخلاص وعدم التفريق بين الأنبياء عليهم السلام فإن ما وجد فيهم وصدور عنهم من الشهادة والإذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لآئنة بخلاف المؤمن به فإنه لا يتصور فيه التعدد .

فقد اهتموا إلى الحق وأصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق وأما ما قيل من أن المعنى فإن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فقد اهتموا فإن وحدة المقصد لا تأتي تعدد الطريق فيأباه أن مقام تعيين طريق الحق وإرشادهم إليه بعينه لا يلائم تجويز أن يكون له طريق آخر وراءه .

وإن تولوا أي أعرضوا عن الإيمان على الوجه المذكور بأن أخلوا بشئ من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم وديدهم .

فإنما هم في شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداء من العدو أي الجانب فإن أحد المخالفين يعرض عن الآخر صورة أو معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقة وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم أي هم مستفرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب إيمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة إما جواب الشرط كما هي على أن المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليتهم عن الإيمان كجواب الشرطية الأولى وإنما أوثرت الجملة الاسمية لدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك وإما بتأويل فاعلموا إنما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فإن آمنوا الخ من باب التعجيز والتبكيك على منهاج قوله تعالى فأتوا

بسورة من مثله والمعنى فإن حصلوا ديناً آخراً مثل دينكم مماثلاً له في الصحة والسداد فقد
اهتدوا وإذ لا إمكان له فلا إمكان لاهتدائهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بحمل النظم الكريم
عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وأن ذلك مما يؤدي إلى الجدل والقتال لا
محالة عقب ذلك بتسليية رسول الله ﷺ وتفريح المؤمنين بوعده النصر والغلبة وضمن التأييد
والإعزاز وعبر بالسین الدالة على تحقق الوقوع البتة فقیل .
فسيكفيكم الله أي سيكفيك شقاقتهم فإن الكفاية لا تتعلق بالأعيان بل بالأفعال وقد أنجز
وعده الكريم بقتل بنى قريظة وسيهم وإجلاء بنى